دلالة المباني الفعلية في كتاب نماذج بشرية لأحمد رضا حوحو
–قصة عائشة نموذجا–

أ.د/ عبد القادر شارف
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف(الجزائر)

ملخص المقال بالعربية:

سنحاول في هذا المقال البحث عن دلالة الصيغ الصرفية للفعل في كتاب نماذج بشرية لأحمد رضا حوحو انطلاقا من قصة عائشة كنموذج للدراسة لتأكيد طبيعتها وجرسها الذي يشعر بدلالتها وينبأ بمعناها.

الكلمات المفتاحية: صيغة– صرف– فعل – شعر – محمود درويش.

Le résumé de l'article en français:

Dans cet article, nous allons essayer de chercher des formules signification morphologique du verbe dans le livre des modèles humains pour Ahmed Reda Houhou sur l'histoire d'Aisha comme un modèle pour l'étude de confirmer la nature et de l'importance et de la signification.

تكاد معظم أشكال التّوليد في اللغة تنحصر في الصّيغ الصّرفيّة، فالصّيغة صالحة للتّوليد بناءً على ما تدلُّ عليه من معانٍ، فلكل معنى صيغة تبينه وتحدده وتفصله عن غيره، فدلالة الفعل تختلف عن غيره كالمصدر واسمه والصفة وهكذا، ويعتبر الفعل عنصراً أساسياً من بين العناصر التي تعمل على بناء الجملة في اللغة العربية، وهو مادة لغوية مهمة تدلّ على حدث يجري على أزمنة مختلفة، وسنهتم هاهنا بالتركيب الإفرادي ودلالته في كتاب نماذج بشرية لأحمد رضا حوحو قصة عائشة نموذجا، الذي يتوزَّع بناؤه على النحو الآتي: وسنهتم هاهنا بالتركيب الإفرادي ودلالته في شعر أبي تمام، ويتوزَّع بناؤه على النحو الآتي:

1 – بناء المجرد:

أ– فَعِلَ بفتح أوله وكسر ثانيه: أمَّا فيما يخص دلالة صيغة فَعِلَ، فقد ذكر لها العلماء عِدَّة معانٍ منها:

-العلل: وذلك مثل قول ابن الحاجب " وفَعِلَ تكثر فيه العلل ... نحو سَقِمَ وَمَرِضَ"[1]، ومنه الفعل (عقب) كقول: (وكانت ذئاب البشرية لها بالمرصاد تتعقب خطاها، فاصطادوها في رمشة عين ودفعوا بها إلى طريق الغواية)[2]

- الأحزان: مثل هام الذي دل على اليأس في قول أحمد رضا حوحو في قصة عائشة:

(هامت الفتاة على وجهها في هذه المدينة الترامية الأطراف)[3]

- الأفراح: مثل سرَّ، ومنه قوله:

(سرَّها أول الأمر أن ترى نفسها حرَّة تركب القطار)[4]

إنَّ وزن فَعِلَ يمتاز بدلالته على العلل والأحزان والأفراح والألوان والعيوب، وقد يخرج إلى دلالات أخرى نذكر منها:

- الدلالة على حالة سيكولوجية، ومنه الفعلين (حدث وخرج) في قوله:

(حدث الحادث الجليل الذي خرج بها عن المألوف وجعل من حياتها صورة تختلف عن صور بنات نفسها) [5]

- الدلالة على حالة فيزيولوجية، ومنه الفعلين (أَذِن، وسَمِعَ) في قوله:

(سمعت به عائشة كما سمعت به بقية الفتيات)[6]

إنَّ الفعل سمع هو من العضو الفيزيولوجي، وهو هاهنا بمعنى أصغى واسْتَمع.

- الدلالة على حالة بيولوجيا، ومنه الفعل (هضم) في قوله: (ولم يهضمها عقلها الآن)[7]

- الدلالة على علاقة إيجابية بين الفاعل والمفعول كأن ينتقل تأثير الحدث بواسطة الفاعل إلى المفعول، ومنه الفعلان (عَلِمَ) في قوله:

(ولكنها تعلم حق العلم أنَّ والدها وغيره من رجال الأسرة يطلقون عليهن اسم العباد)[8]

ج- فَعَلَ بفتح أوله وثانيه: إنَّ صيغة فَعَلَ هي الأكثر وروداً في الكلام من غيرها، وهذا ما أكَّده سيبويه بقوله: " وإنَّما كان فَعَلَ كذلك لأنَّه أكثر في الكلام، فصار فيه ضربان، ألا ترى أنَّ فَعَلَ فيما تعدى أكثر من فَعِلَ، وهي فيما لا يتعدى أكثر، نحو: قَعَدَ وجَلَسَ"[9]، وسبب ذلك يعود إلى أنَّ الفتح أخف من الكسر والضم، ولذلك تواردت صيغة فَعَلَ بالفتح في الكلام أكثر من فَعِلَ بالكسر، وفَعُلَ بالضم، وهذا يوضحه إبراهيم أنيس من خلال عملية إحصائية قام بها فتوصل إلى أنَّ صيغة فَعَلَ "هي أكثر شُيوعاً في الأسلوب القرآني، لأنَّ به حوالي سبعة ومائة من

الأفعال الماضية التي صيغتها فَعَلَ، وحوالي أربعة وعشرون فعلاً من صيغة فَعِلَ " [10]، ومن دلالتها في قصة عائشة من كتاب نماذج بشرية لأحمد رضا حوحو ما يأتي:

– الدلالة على الأخذ، ومنه الفعل (أخذ) في قوله:

(فأخذت ترى نفسها أسمى مقاما من زميرتها)[11]

– الدلالة على الاستقبال: إن دلالة الماضي على الاستقبال إنَّما نجدها في بعض التراكيب في اللغة العربية قد خالفت الدلالة الأصلية التي وضعت لها وأصبحت دالة على الاستقبال بوجود قرينة لفظية أو معنوية خلصتها لتلك الدلالة، من ذلك قوله: (ما كاد يستولي على عفافها... وفرَّ قافلا إلى أوربا من حيث أتى)[12]

الفعل "أتى" في قول أحمد رضا حوحو يدل بصيغته الصرفية على الماضي المطلق في زمن مضى وانقضى، إلا أنَّ وروده في السياق يفرض عليه دلالة سياقية يقتضيها السياق ويدل عليها، وهي دلالة الاستقبال؛ لأنَّ القرينة اللفظية" ما كاد يستولي على عفافها " في السياق النحوي التركيبي تشير إشارة واضحة جلية إلى أنَّه لما يقع بعد، ومع كونه فعلاً ماضياً في الصيغة الصرفية، فإنَّنا لا نفرغ هذه الصيغة الصرفية من دلالتها الزمنية ولا نخضعها للدلالة السياقية فقط، إذ لو كان ذلك هو المراد لجاءت الصيغة صريحة بقوله: "سيأتي"، ومع ذلك لا نقف عند حدود الدلالة الصرفية اللفظية لنقول: بأنَّه فعل ماضٍ قد وقع وحصل؛ فالقرينة السياقية تمنع ذلك وهي قوله: " يستولي "، وإنَّما نجمع بين الدلالتين الصرفية والنحوية، الإفرادية والتركيبية، لنقول: إنَّ المراد هو توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمنة معنى المضي وموظفة له في الوقت نفسه، فكأن مقصود حوحو أن تقول: سيذهب بلا محالة ذهابا مقطوعاً به، بل هو في حكم ما وقع وأتى بالفعل.

– الدلالة على الحال: تستعمل صيغة (فَعَلَ) الدالة على الماضي بلفظها لتدل على الحال في سياقها، من ذلك ما جاء في قوله: (فقد أكسبتها التجارب المرة خبرة، ولم يطل بها البحث فتحصلت على عمل خادم في فندق محترم)[13]

إن الفعل (أكسب) هـ بناء للماضي غير أنَّه دل على الحاضر من جهتين: من جهة السياق العام، ومن جهة (قد) التي تعد من القرائن اللفظية التي خلصت الفعل للدلالة على الحال دون غيره.

ومن صيغ الأفعال الماضي الدالة على الحال (بَعَثَ) في قوله: (وبعث ذلك التفوق في نفسها شيئا من الغرور)[14]، حيث انصرف الماضي في (بَعَثَ) إلى الحال بالإنشاء، وذلك لأنَّ "أكثر ما يستعمل في الإنشاء الإيقاعي من أمثلة الفعل هو الماضي، والفرق بين بعث الإنشائي وأبيع المقصود

به الحال، أنّ قولك: أبيع لا بدَّ له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ تقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج، فإن حصلت المطابقة المقصودة، فالكلام صدق وإلا فهو كذب، وأما بعت الإنشائي، فإنَّه لا خارج له تقصد مطابقته، بل البيع يحصل في الحال بهذا اللفظ" [15].

رأينا أنَّ صيغة (فَعَلَ) للماضي تكون للحال، كذلك يمكن أن تكون صيغة المضارع (يفعل) لها أيضًا، فهي وضعت أصلاً للدلالة على الحال دون غيره شريطة ألا تكون مصحوبة بأيّة قرينة لفظية أو سياقية، وهذا ما أكَّده ابن مالك بقوله: "ويترجح الحال مع التجريد"[16]، ويؤكِّد الرضي دلالته على الحال وهي عنده الأقوى "لأنَّه إذا خلا من القرائن لم يُحْمَل إلا على الحال ولا يُصْرَف إلى الاستقبال إلا بقرينة، ومن المناسب أن يكون للحال صيغة خاصة كما لأخويه" [17]، أمَّا الحاضر عند ابن يعيش "فهو الذي يصل إليه المستقبل ويسري منه الماضي فيكون زمان الإخبار عنه هو زمان وجوده " [18] من دون تمييز بصيغة صرفية خاصة به.

والمضارع يدل على الحال بوجود قرينة لفظية أو سياقية تعين الحاضر دون غيره ككلمة الآن التي هي "حدّ الزمانيين: حد الماضي من آخره، وحدُّ المستقل من أوله" [19] ومثل الآن، الحين والساعة... الخ، ومنه قول رضا حوحو: (ولم يهضمها عقلها الآن)[20]

كما قد تنصرف دلالة الفعل على المضارع إلى الماضي فيخبر به عن حدث تم وانقضى في الزمن الماضي وذلك بقرائن لفظية أو معنوية خاصة بالزمن الماضي مثل: (لَمْ ولَمَّا) فدخولهما على المضارع يحوّل دلالته إلى الماضي، غير أنَّ الفرق بينهما يكمن في أن "لم"، تنفي الحدث في الزمن الماضي المطلق، يقول الصاحبي: "لم تنف الفعل المستقبل، وتنقل معناه إلى الماضي، نحو لم يقم زيد تريد: ما قام زيد" [21]، في حين أنّ لما تنفي وقوع الحدث في الزمن الماضي القريب من الحال، وقد تكون لما بمعنى لم[22] مثل قول رضا حوحو: (لم تعوزها الحيل للاستلاء على عقل هذه المخلوقة العجماء)[23].

ونلحظ أنَّ مجيء الأفعال في السياق عند أحمد رضا حوحو كثيراً ما يخرج عن النمط المألوف للغة من حيث التصرف في أزمنة الفعل، وذلك كالتعبير عن الحدث الماضي بالمضارع والتعبير عن الحدث المستقبل بالزمن الماضي، وكثيراً ما نجد السياق الشِّعري لا يجري على نمط واحد في المطابقة الزمنية بين الأفعال، إذ يحصل تصرف في التحول الداخلي للسياق نفسه بالمخالفة في أزمنة الأفعال، كأن يرد في السياق ذكر الفعل المضارع ثم ينكسر النسق السياقي بمجيء الفعل الماضي في السياق نفسه أو العكس، ممَّا يثير التساؤل عن معرفة سبب ذلك التحول ودلالته التعبيرية في السياق الشِّعري.

وهذا التحول يكشف عن تصادم الأزمنة على مستوى البنية السطحية ممَّا يدفع المتلقي إلى الانتباه والتفاعل مع النص، ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة.

فالبنية العميقة تستوجب المطابقة في أزمنة الفعل في السياق اللغوي، والعدول والتحول عنها إلى البنية السطحية التي برزت على سطح النص تستدعي تحولاً في المعنى يرافق هذا التحول في المبنى، وقد توقف علماؤنا عند هذا النوع من التحول وعدّوه ضرباً من البلاغة، يقول ابن الأثير(ت 636هـ): " واعلم أيَّها المتوشح لمعرفة علم البيان أنَّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارها، وفتّش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنَّه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً " [24].

– الدلالة على الانبهار، مثل الفعل (حلَّ) في قوله:

(حلَّ بين سكان البلدة كالنجم المتألق في حلته الإفرنجية الأنيقة)[25]

2- بناء المزيد:

أ- فَعَّلَ بتضعيف العين: يرى ابن الحاجب أنَّ " فَعَّلَ للتكثير غالباً " [26]، ومنه الفعل (حدَّث، ووضَّح) في قوله: (فحدَّثها عن بنات أوربا وحريتهن كما وضَّح لها حقوقها)[27]

وكل الصيغ الواردة في هذين البيتين (حدَّث، ووضَّح) متعدية.

ب- فَاعَلَ: ويأتي فَاعَلَ "نسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلقاً بالآخر للمشاركة"[28]، فالمشاركة هنا هي من اصطلاح ابن الحاجب، وأورده بعد التعريف، أمَّا سيبويه فيعطي التعريف دون التصريح باللفظ، وذلك بقوله: " إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان إليه حين قلت: فاعلته"[29]، وقد أخذ الزمخشري التعريف أيضاً دون اصطلاح، فَفَاعَل إذن هو "أن يكون من اثنين، كل واحد منهما يفعل بصاحبه مثل ما يفعله به الآخر"[30]، فالحدث يقع من اثنين في لحظة واحدة، بحيث يشترك الطرفان في أصله.

ولأجل تعلق فَاعَلَ بالأمر الآخر " جاء غير المتعدي متعدياً " [31] بعد نقله إلى فَاعَلَ، يقول:

– الدلالة على الهروب، ومنه الفعل (فارق) في قوله:

(ففارقت منزل والدها خلسة في ليلة ظلماء وسافرت مع الشاب إلى مدينة بعيدة)[32].

فالشاهد في هذا البيت هو الفعل (فارق) بمعنى هرب وغاب واختفى والذي أصله (فرق)، وهذا التحويل الذي أحدثه المد في البنية، أحدث بدوره تحويلا في الدلالة، وقد انفرد ابن الحاجب بقوله بتعدية اللازم الدال على الطباع والسجايا.

جـ- أفْعَل: جاء هذا البناء في قصة عائشة لرضا حوحو دالا على المعاني الآتية:

- التعدية: يقول ابن الحاجب: " أَفْعَلَ للتعدية غالباً نحو أَجْلَسْتُهُ " [33]، وقد ورد لهذه الدلالة: أَخرَجَ، أَقبَلَ، أَدبَرَ، أَطلَقَت، أَطفَأتَ، أَظهَرَ، أَحَلَّ أَراها، يُهمِل، وقد وردت أمثلة في مثل هذا النوع عند أحمد رضا حوحو في قوله: (وأعجبته الفتاة)[34]

فهذه الصيغة الواردة في هذا المثال لازمة، وصارت بدخول همزة القطع عليها متعدية إلى مفعول به.

د- انْفَعَلَ: إنَّ البنية التركيبية مزدوجة الزيادة، تمثلت في زيادة سابقتي الألف والنون على البنية الأصلية، وهذا التحويل من البنية الأصلية إلى البنية الجديدة أعطى للفعل دلالة أخرى غير دلالته المتعارف بها، ومن هنا أصبحت "انفعل" تتكون من ثلاثة مقاطع أصلية قصيرة مفتوحة، ومن مقطع متوسط وهو الزائد، وهي الصيغة التي تمتاز بخاصيتي "اللزوم والمطاوعة" [35]، ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى (اِنْطَوَى)، يقول رضا حوحو:(انخدعت عائشة بحديث فتاها)[36].

الفعل في هذا البيت مطاوع "فَعَلَ"، وهذه الصفة أصل فيه، لأنَّه يجوز أن يقال خدعته فانخدع، والمطاوعة – بحسب السياق – تصور صورة التعجب من شخص هو مُنخدع، والأمر نفسه يمكن أن يقال عن الفعلين: (اندمل وانمحى)، في قوله: (فاندمل الجرح وانمحى الرسم) [37].

5 - اِفْتَعَلَ: يذكر العلماء عادة هذه البنية بعد "اِنْفَعَلَ"، وذلك لمشابهتها في عدد الحروف ونسق الحركات، وبالتالي تساويهما في عدد المقاطع، ولا يختلفان إلا في شيء واحد، وهو الزائدة الوسطية، إذ هي النون في "اِنْفَعَلَ"، والتاء في "اِفْتَعَلَ"، وحتى من حيث المعنى، فلهما معنى واحد تمثل في المطاوعة، فاِفْتَعَلَ إذن تأتي " للمطاوعة غالباً"[38]، وقد توزعت صيغة " اِفْتَعَلَ " في شعر البحتري على المعاني الآتية:

- المطاوعة: وتعني " قبول الأثر وعدم الامتناع عليه باعتبار المطاوع في الأساس هو المفعول به الذي يصير فاعلاً "[39]، ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى (افتخر)، يقول: (ويفتخر بذكر حصانه والحديث عنه)[40]

الصيغة القائمة في هذا المثال لازمة، والمطاوعة فيها قائمة مقام "اِنْفَعَلَ" مطاوع الفعل، نحو: فاخرتُهُ فَاِفتخر.

- الدلالة على الشهرة: ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى (اشتهر)، يقول:

(اشتهرت عائشة بأفكارها الوطنية)[41]

اشتهر بمعنى اِصْطَفَاهُ بِفَضلِها، أي جَعَلَهُ مشهورا.

6- اِسْتَفْعَلَ: إنَّ البناء المزيد بسابقة (اِسْتَ) هو بنية تركيبية مثلثة الزيادة، وقد أحدثت تحولا داخلياً في البناء الأساسي "فَعَلَ"، إذ أصبح الحرف الأول منه ساكنا، أضف إلى ذلك التغير في عدد المقاطع ، فبدلاً من ثلاث مقاطع قصيرة مفتوحة، نجد أربعة مقاطع، اثنان منها متوسطين، والآخران قصيرين مفتوحين، ويتوزع هذا البناء على المعاني الآتية:

- الدلالة على الطلب والسؤال: يأتي استفعل للطلب، وللسؤال غالباً، ومن الصيغ الدالة عليه : "اِسْتَقْبَلَ"، "اِسْتَحْسَنَ"، يقول:

(ولا تعرف عن نفسها إلا أنها عورة يستحي ذووها من ذكر اسمها)[42]

يلاحظ من خلال ما سبق أنَّ أحمد رضا حوحو قد بنى تصوره لدلالة صيغة الفعل على أسس عقلية فلسفية من جهة، وعلى أسس وصفية من جهة أخرى، وبما أنَّ اللغة تعبر عن الفكر وتحتاج في تحليلها إلى الوصف المنضبط بقواعد العقل والحجَّة، فإنَّ ما سبق إن رجحناه في دلالة الفعل هو المتوفر على هذه الأسس التي تقود إلى رؤية متكاملة لدلالة الصيغة على المعاني المختلفة.

هوامش البحث:

---

(1) ينظر: الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 71.

(2) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر 2013، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص17.

(4) نفسه، ص17.

(5) نفسه، ص 16.

(6) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر 2013، ص 16.

(7) نفسه، ص 16.

(8) نفسه، ص 15.

(9) سيبويه، الكتاب، ج4، ص 104.

(10) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط5، مصر 1975م، ص 52.

(11) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 17.

(12) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 17.

(13) المصدر نفسه، ص18.

(14) نفسه، ص17.

(15) ابن الحاجب، الكافية في النحو، بشرح الأستراباذي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج2، ص

225. وينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص 5، والتعبير الزمني عند النحاة العرب لعبد الله بوخلخال ، ج1ص53.

(16) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص5.

(17) ابن الحاجب، الكافية في النحو، بشرح الأستراباذي النحوي، ج2، ص 226.

(18) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص 4.

(19) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة، أ. بدران بيروت 1964، ص202

(20) نفسه، ص 16.

(21) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص255، وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، ص110.

(22) المصدر نفسه، ص255..

(23)أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 16.

(24) ابن الأثير، المثل السائر في الأدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1، مكتبة نهضة مصر – القاهرة 1959م، ج2، ص193.

(25) نفسه، البيت2، ص506.

(26) الجاربردي، شرح الشافية، ج1 ، ص 92.

(27)أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 16.

(28) ينظر: الجاربردي، شرح الشافية ل، ج1 ص 96.

(29) سيبويه، الكتاب، ج4، ص 68.

(30) ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط1، حلب 1973م، ص 73.

(31) شرح الشافية للجاربردي، ج1، ص 96.

(32)أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 16.

(33) الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 83.

(34)أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 17.

(35) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص 65، والجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 108.

(36) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 17.

(37) نفسه، ص 18.

(38) الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 108.

(39) نفسه، ج1، ص 109.

(40)أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص 15.

(41) نفسه، ص 17.

(42) نفسه، ص 15.